نشيد الحرية وعبد الحرة

بقلم الأستاذ كامل الشناوي

معصوبة العينين مغلولة
واهنة في أسرها شاحبه
لاهثة في القيد برية
ذاهلة عن قيدها واثبه
عصية هوجاء مأخوذة
نازعة للطير ما أذعنت
يوما لهذا الأسير أو هادنت
أو غلبت روح لها غالبه

أبية مهما يعض الحديد فليس بالوهن إصرارها
من بأسه بأس لها أو يزيد والنار تذكى إن طغت نارها
هازئة في قيدها بالوعيد توعد من قيدها صيحة
تصغى إليها الأرض مرتجة
وتنقل الأيام أخبارها

تصيح بالسجان يا آسري غداً تريك الأرض زلزالها
تغدو بها القهور يا قاهري يا صانعا للروح أغلالها
هيهات أخشى القيد من غادر رنين أغلالي في سمعه
ألقى طيوف الرعب في نفسه
والرجفة النكراء أوحى لها

ما ألفت إلا فسيح الرحاب طليقة في جوها طائره
في الرج والموج وفوق السحاب خفاقة رايتها عابره
وضيئة تلمع لمع الشهاب في ظلمة العيش سنا برقها
تهفو إليه الروح مشتاقة
ويجتليه الأنفس الثائره

كم من فؤاد باسمها خافق مستشرف يرتقب الموعدا
وكم لها في الدهر من عاشق علق الروح وإن قيدا
في سجنه ينظر من حالق يهزأ بالسجن وأصفاده
ما عرف الأذعان قلب له
يطلقه مما يسام الردى !

معشوقة الإنسان من يومه حياته قبل ضلال الحياه
قبل الذي أغواه من علمه وغره أن الهدى ما يراه
قبل الذي أطغاه من حكمه في رأسه الريش وفي كفه
نصل يلوح الشر في ومضه
والنار والأصفاد صاغت يداه

مذ ألبس الناس لباس الحديد والذهب الوهاج ما يلبس
يا سوء ما يشقى لديه العبيد وليس من يهمس أو ينبس
أين ، وقيدٌ كل يوم جديد والناس قطعان ورعيانهم
إن بسم الراعي صفا مرجه
والقيم والأعصار إذ يعبس

وأصبحت من حلم الحالم ومهده ، الحرية الساحره
كم من مُعنى باسمها هائم يطلبها في الظل والهاجره
يعيش بالأحلام في عالم ينسى به الإنسان أغلاله
بالحق والرحمة في أرضه
والسلم كم تربطه آصره

حورية كم سحرت مهجة راحت بما تشقى به تسعد
ما إن ترى في عيشها بهجة إلا الذي في حلمها توعد
والهول كم خاضت به لجة من ظلمة تأوي إلى ظلمة
تهفو إلى النور الذي شاقها
حتى ترى صبحاً له يولد

عذراء كم أغلى الهوى مهرها من الدم الغالي لها يبذل
كم ألهمت نضواً لها سرها من روحها وحي الذي يعمل
يلمح في كل سنا سحرُها وكل شاد بالهوى حوله
ذكره باللحن ممشوقة
لو تقتضيه الدمَ لا يبخل

كم راسف في قيده موثق يأبى وإن مُنّى أن يذعنا
أشهى له في سجنه الضيق أن يلبس الأغلال مستيقنا
عزاؤه في ضيقه المحرق ما يحرق الطاغين من غيظهم
مما أسرت أنفس حرة
تأبى إلى الذلة أن تركنا

عذابه في القيد روح له يكاد لولا كبره يطرب
ينسيه ما يطلبه هوله يا هول ما حمله المطلب
في قلبه ومض محا ليله فاض كما كان يفيض الضحى
وهو من السجن وأحجاره
في فيهب من فوقه فيهب
يذوى وفي أضلاعه جذوة تدفئه في ركنه الأقتم

تذهله عن موته نشوة فتنثره يبسم إذ يرتمي
تمضي إلى الموت به غفوة فيها خيال رف من فوقه
يعرفه ! كم ذا رأى وجهه
يغيره في الأسر لم يحلم
فطرية تنشدها الأنفس والأنفس الحرة قربانها
من نفس تحيا به أنفس فيها من العزة برهانها
في لمحها النار التي تقبس نار تظل الدهر مشبوبة
يخشى لظاها كل مستكبر
وينذر الطاغين بركانها
أبطالها في الدهر أيامهم أجل ما يشدو به شاعر
توحي إلى الحاضر آلامهم كيف أبى أغلاله الحاضر
أسيافهم شهب وأقلامهم لحن ، على الأيام أسجاعه
وحي قلوب خافقات به
في الأرض ما خوفها قاهر
شدوتُ والهجرة في خاطري أنشودتي الحرية الغانيه
إشراقها في قلبي الثائر لحن به أذكيت ألحانه
تبقى بقاء الفلك الدائر توحي إلى الأجيال حرية
ما ولدت « يونان » أختاً لها
والدهر ما جاد بها ثانيه !
خوانق الأغلال مفصومة مهاجر حطمها واحد
من حوله الأوهام مهزومة زلزلها البتهل العابد
أسلحة الطغيان مثلومة والناس سوى بينهم دينهم
ما عز إلا الله من حاكم
لغيره ما سجد الساجد
مهاجر عزمته أنطقت بما تدين الأنفس الخائفه
منطلق من أسره أطلقت هجرته الحرية الراسفه
رسالة للروح قد أشرقت تضحى على الأنفس آياتها
قدسية الومض إلهيةٌ
جوانب الأرض بها هاتفه
الروح في منزعها حرة من ربقة الذل الذي يوبق
والعقل قد ثارت به ثورة تأبى من الأوهام ما يوثق
والجسم كم نامت به ثرة لا الترف الجامح ماض به
إلى مهاوي الغي يوما ولا
يخشى من الطغيان ما يرهق
محمد ، شرعته قوة تذكي طموح الأنفس الطامحه
حية توقدها دعوة إلى الهدى حجتها لائحه
في كل نفس حرة جذوة صوب الملا تدفعها والفدا
كم ألهبت في زحفها عصبة
هزت بها أسيافها الفاتحه
ودينه الحرية الصادقه لا عوجٌ فيها ولا زخرف
معارج الفكر به شاهقه وسيفه من خلفه المصحف
مراشد الوحي بها ناطقه في الدين لا إكراه من قيم
والأمر شورى فيه لا غاصب
يطغى ولا ذو ترق يعصف
يا مدلجاً أخرجه قومه خطوت لا في البيد بل في الزمن
يا جاهداً تحت الدجى ، عزمه والبغي داج ليله ، ما وهن
يا واحداً ضاق به خصمه هجرتك الغراء من وحيها
في كل عصر ظالم ، هجرة
لكل شاك غربة في الوطن !
قصيدة رددها منشدا ما هتف الدهر وما رجّعا
لحن له في كل قلب صدى ما أصدق اللحن وما أروعا
شمس هدى كم ذا تشع الهدى من أفق الوحي شعاعاتها
مطلعها الشرق وكم أشرقت
شمس به ، أكرم به مطلعا !

(البقية في العدد القادم) محمود الخفيف

مطبعة الرسالة

تقدم قريباً

الطبعة الجديدة من كتاب :

تاريخ الأدب العربي

للأستاذ أحمد حسن الزيات